



أية ثورة، وأية انتفاضة هذه التي تجتاح مدن سورية وريفها من أقصاها إلى أقصاها، ومن أدناها إلى أعلىها؟! وما هذا التنوع في الحراك الثوري، والشعبي، والعسكري، والنخبوى، والتي تختلف عن كل الثورات العربية كماً ونوعاً وكيفاً؟!  
إنها الشام، وأهل الشام، وما أدرك ما الشام وأهلها؟!.

فهي خاصة الله من أرضه، وأهلها المصطفين من خلقه.. عمود الإسلام فيها، وأرض النبوات، والبطولات، والملامح من أول الزمان، وفي آخره.. فيها ولد عيسى - عليه السلام -، وفي غوطة دمشق يهبط، ومنها ينطلق في القضاء على حركة الدجال وزمرة من المارقين والمتواطئين معه.

ومن قبل كانت ممالك أنبياء الله فيها.. من داود، إلى سليمان، إلى عهد القضاة، وعلى أرضها غالب جيش طالوت جيش جالوت، (وقتل داود جالوت).

ومن بعد كانت أرض الشام مركز الفتوحات، ونواة الحضارات، وإشعاع الفكر، ونور العلم. وكانت في الشام، قبلة الإسلام الأولى، ومجمع الأنبياء، ونقطة الانطلاق، وعروج المصطفى - صلى الله عليه وسلم - إلى السماوات العلا.  
ومن لحظة أن وطأت قدمًا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أرض بصرى الشام (من حوران)، في رحلته الميمونة، مرة مع عمه (أبو طالب)، وأخرى مع (ميسرة) غلام خديجة، والخير في تتابع على أهل الشام عامة، وأهل حوران خاصة، فهذا الله الغساسنة (سكان حوران) إلى الإسلام، والذين مدحهم حسان بن ثابت يوم وفد عليهم في الجاهلية قبيل الإسلام بقوله:

للَّهِ دَرُّ عَصَابَةِ نَادِمَتْهُمْ \*\*\* يَوْمًا بَجَلَقَ فِي الزَّمَانِ الْأَوَّلِ  
يُعْشَوْنَ حَتَّىٰ مَا تَهُرُّ كَلَابُهُمْ \*\*\* لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْمُقْبَلِ  
بِيَضْنُ الْوَجْهِ كَرِيمَةُ أَنْسَابِهِمْ \*\*\* شُمُّ الْأَنْوَفِ مِنَ الطَّرَازِ الْأَوَّلِ  
الْمَلْحَقِينَ فَقِيرَهُمْ بَغْنِيهِمْ \*\*\* الْمَشْفَقِينَ عَلَى الْيَتَمِ الْأَرْمَلِ  
أَوْلَادُ جِفْنَةَ حَوْلَ قَبْرِ أَبِيهِمْ \*\*\* قَبْرُ ابْنِ مَارِيَةِ الْكَرِيمِ الْمَفْضَلِ

وفتح دمشق، وحمص وحلب بعد وقعة اليرموك الشهيرة. وكانت مملكة عبد الملك بن مروان فيها، وخلافة عمر بن عبد العزيز الراشدة كذلك، واستمرت الشام بأهلها من عزٍ إلى عزٍ، ومن فتح إلى فتح، كلما كبت، قيض الله لها من ينهض بها ويجدد أمر دينها، وكما قيض الله لها نور الدين زنكي، وعماد الدين زنكي، لينهضوا بالشام نهضة علمية وعسكرية وإصلاحية، وليوطّنا الطريق أمام صلاح الدين الأيوبي ويكمّل المشوار من بعدهما، فيقضي على الدولة الفاطمية (في مصر)، ولويوحّد بذلك البلدين، ومن ثمَ الانطلاق إلى حطين، وفتح بيت المقدس.

وكذلك وقف ابن تيمية في وجه التتار مع أهل الشام عسكرياً، ووقف في وجه الظلم والفساد أمام حكامها آنذاك بالتصدي بالحق، ووقف في وجه الخرافية والشعوذة علمياً، وجدد مع ابن القيم وابن كثير دين هذه الأمة.

ولم يتوقف المدد الإلهي لأهل الشام، من تهيئة العلماء العاملين، إلى المجاهدين الصادقين - وأحياناً الحكم العادلين - إلى أن جاءت عصابة البغدادي والباطنيين من النصيريّين، فانتهزوا فرصة من البلاد، واغتصبوا الحكم فيها على حين غفلة من أهلها.. فكان ما كان.. من عسفٍ وظلمٍ وجورٍ، وحربٍ لله ورسوله ودينه وأوليائه، مدة خمسين سنة، حتى إذا ظن النصيريّون ومعهم حزب الشيطان، ومجوس إيران ورافضة العراق، أنهم قادرون على أهل الشام، فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا.. من قبل أطفال حوران، فأشعلوها ثورة.. اقتبسـت من نورها حمص العدية، وغوطـة دمشق والزبداني ومضايا، وحـماة البطولة والفاء، وإدلب الشهامة، وجـبل زاوية الإباء، وزـأر بها ليـوث الفرات، وأبطـال ريف حـلب وبـعض أحـيائـها، ونـمور السـاحـل. ثـورـة.. تـصدـعـت لـها قـصـورـ كـسـرـىـ فـي إـيـرانـ، وـاهـتزـت لـها الضـاحـيـةـ الجنـوبـيـةـ لـبـيرـوـتـ، وـارـجـفـتـ بـالـمـالـكـيـ السـاحـةـ الـخـضـرـاءـ فـي بـغـدـادـ، وـحلـتـ الـكـآـبـةـ عـلـى قـرـىـ جـبـالـ النـصـيرـيـةـ فـي سـوـرـيـاـ، وـشـرـقـتـ بـهـا الدـوـلـةـ الـيـهـوـدـيـةـ فـي فـلـسـطـيـنـ!!.

المصادر: